Review of the implication of (Inna) tools in Quranstories: A comparative study of the stories of Moses (PBUH)

دراسة أداة شرط (إن) ودلالاتها في القصص القرآنية: دراسة تطبيقية على قصص موسى عليه السلام

اسحق رحماني
جامعة شيراز
esrahmani@yahoo.com

فاطمه صمصامی
جامعة شيراز
samsamifatemeh691@gmail.com

قدم للنشر في: 2018/10/28 قبل للنشر في: 2019/06/22

Abstract:
Indeed, the syntax of the Arabiclanguagefrom the time of itscreation, payedspecial attention to the meanings in a suchwaythatthereis a deepconnectionbetweendenoting and grammar one of the distinguishingfeatures of the Arabiclanguageisitsbeing full of content, sothat if a wordchanged, or its place changed, so the meaning of the whole phrase willbechanged.
One of the issues that arises in thisgroundis the conditionalswhichincludesvariousequipmenteachwithdifferentimplying. So the review of themis a big help for us to understand the Quran, better.
This research tries to examine the implication of (Inna) tool in stories of Moses within syntaxes and implying.
Result show a deepconnectionamong the science of syntaxes, the science of meaning and the interpretation if Quran. Eachequipment has itsownmeaningwhichwillbeunderstoodjust and onlyjust by the context of the sentence. In addition to this, the tense of conditionaltools are variable in the sentences and a unique verbfromdoesentimply a unique tense.
Key words:holyQuran, conditional, Inna tool.

الملخص :
إنالنحومنذنشأتهالأولياهتمبالمعنياهتماماًخاصاً على نحو أنهناك ارتباط وثيق بين القاعدةالنحويةوبينالدلالة. ومنالميزاتالبارزةفياللغةالعربيةأنهاملوءةبالمضامينالمختلفة حتى أن تغيير الكلمةأو مكانها يتغير معنى العبارةكلها.
ومنالمسائلالتيتطرحفيهذاالحقل هو أسلوبالشرطالذييتضمنأدواتمتعددةولكلمنهادلالاتخاصة، فلهذادراسةدلالاتهذهالأدواتتساعدنافي فهم القرآنالكريم. وهذاالبحثيسعيأنيدرسدلالاتأداة (إن)فيالآياتالمرتبطةبقصص موسى عليه السلامدراسةنحويةدلالية.
والنتائجالحاصلةتوضحلناأنهناك ارتباط وثيق بين علم النحووعلمالدلالةوتفسيرالقرآن، كما أنأسلوبالشرطوإدراكدلالاتأدواتهيؤثرتأثيراًهاماًفي فهم القرآنالكريموإنلأداةواحدةمعانمتعددةتُدرك حسب سياق الجملة، وإضافةإليهذاأنالزمنالشرطي متغير فيالجملةولايدلصيغةفعليةخاصة على زمن خاص.
الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، علم الدلالة، أسلوب الشرط، أداة (إن)

1- مقدمة

إن نص الدراسة هو القرآن الكريم، أسمى الكتب وأعلاها منزلة وأجلها مرتبة وهو كتاب الله الذى لا ريب فيه ولأجل فهم القرآن الكريم ومعرفة معانيه ومقاصده والكشف عن أسراره، وضع العلماء بعض العلوم العربية لخدمة القرآن الكريم وفهمه. فلا يخفى على أحد من الباحثين والعلماء الذين لهم صلة بالعلوم العربية مدى تأثير القرآن الكريم على اللغة العربية.

ومن العلوم التي كان للقرآن أثرٌ بالغٌ في نشأتها وظهورها هو علم النحو الذي قد حظى باهتمام بالغ من جانب العلماء، وأما من الأمور التي لها دلالات خاصة وذات معنى ومغزى في علم النحو هو أسلوب الشرطلما له من دور مهم في فهم القرآن الكريم، ففهم معاني الجملات الشرطية وأدواتها ودلالاتها يساعدنا في فهم القرآن الكريم. فقد ذكر اللغويون دلالات عدة لما يشير إليه مصطلح الشرط، وقسموا أدواته إلى جازمة وغير جازمة، و إلى أسماء وحروف، وبيّنوا دلالاتها ومعانيها، وخصّوها بالعموم والإبهام، ثم بيّنوا دلالة كلّ أداة بحسب ما وضعت له من دلالة على المستقبل أو الماضي أو الزمان أو المكان أو غير ذلك، وفرّقوا بين الأدوات، فمثلاً (إن) للأمر غير المجزوم بوقوعه، و(إذا) للمجزوم بوقوعه، وقد تقع كل منهما موقع الأخرى لغرض بياني أو نكتة بلاغية.

والمقصود من الدلالة هو المعنى الخفي وراء هذه الجملات والكلمات ويقول الجرجاني في تعريف الدلالة: «هيكونالشيءبحالهيلزم من العلم به العلملشيء آخر».[1] وأماالدلالةالنحويه،كمايقول مجاهد: «فهيالدلالةالتيتحصل من خلال العلاقاتالنحويةبينالكلماتالتيتتخذكلمنهاموقعاًمعيناً حسب قوانيناللغة، إذأنكلكلمةفيالتركيب لابد أنتكونلهاوظيفةنحوية من خلال موقعها».[2]

أما ما يختص بالدراسة في القرآن الكريم فهو القصة القرآنية التي تلعب دوراً كبيراً في حياة البشر وبخاصة المسلمين، فقد جاءت لأسمى غاية في الوجود وهي الدعوة إلى الله وتربية المؤمنين، وأما قصص الأنبياء، هي من أهم القصص القرآنية كما يشير إليها السبحاني في كتابه القصص القرآنية ويقول: «إنّ حياة الأنبياء وسيرتهم في أقوالهم وحواراتهم مع مخالفيهم وكل ما يتعلّق برسالاتهم هي أحد المواضيع التي اهتمّ بها القرآن الكريم. والغاية التي تهدف إليها القصص القرآنية تأتي في سياق الهدف القرآني العام الذي يتمثل في الدعوة إلى اللّه تعالى وإلى إتباع منهجه الذي اختطه للإنسان وسعادته ورقيه والتحذير من العصيان وتنكّب طريق الإيمان».[3] ومن الأنبياء الذي ستقوم الدراسة بتحليل قصصه هو موسى عليه السلام. الذي جاءت قصصه في سور البقرة، والمائدة، والأعراف، ويونس، وإبراهيم، والكهف، والشعراء، والقصص، وغافر، والدخان، وبما أنّ أسلوبى الحوار والمجادلة يكثران استعمالهما في قصص الأنبياء وهما من الأمور التي تؤثر في ورود أسلوب الشرط، وأن هناك دروس وعبر متعددة في هذه القصص فتساعدنا في معرفة أساليب الدعوة وتعلم الصبر على الشدائد وزيادة الإيمان، فعلى المستوى الحجمي يكتفي البحث بدراسة أداة (إن) ودلالاتها في قصص هذا النبي عليه السلام.

إن أهمية هذا البحث تكمن في أنها دراسة في القرآن الكريم؛ فكل ما يتصل بالقرآن من العلوم والمعارف والأدوات البحثية تعدّ مهمةوذات فائدة، وبما أن هذا البحث، بحث نحوي دلالي في القرآن الكريم، وكونه يربط بين الجانب الدلالي والجانب النحوي فأدوات الشرط لها دور كبير في إعطاء المعنى طاقة دلالية وتحويله من حال إلى حال بحيث لو وضعت أداة مكان أخرى لتغيّر المعنى المراد فهذه الدراسة تحاول للكشف عن المعنى الدلالي لأداة (إن)في القصص القرآنية المختارة، ومعرفة توظيفاتها النحوية ودلالاتها والسياقات المختلفة تساهم في فهم القرآن فهماً سليماً، فالغاية من هذه البحوث التسهيل في فهم المعنى والوصول إلى المعنى الدقيق.

عني العلماء قديماً وحديثاً بالدراسات القرآنية لما لها من أهمية جلية في خدمة كتاب الله العزيز. فقد شغل به المفسرون واللغويون، والبلاغيون من شتى الجوانب، قديماً وحديثاً، وجعلوا يدرسونه ويبيّنون معانيه وألفاظه، ويكشفون عن إعجازه في كل عصرٍ.

ومن هذه الدراسات، الدراسات النحوية الدلالية التي تعتبر من أهم الدراسات في العصر الحديث حيث تنزع هذه الدراسات إلى عدم التفرقة بين الجانب النحوي والجانب الدلالي في دراسة النصوص، ومن الدراسات النحوية التي شغل بها كثير من الباحثين هي دراسات في علم الدلالة ودراسات في أسلوب الشرط وأنواعه وأدواته ومعانيهاوكذلك هناك بحوث في القصص القرآنية لما لها من أهمية في الدعوة إلى اللّه ولكن لا يسعني في

هذا المقام ذكر كلّ المصادر وكذلك نكتفي بذكر بعض من أهم المصادر التي كان لها موقع فيها، فبالنسبة إلى دراسة علم الدلالة تذكر الرسالة الدراسات التالية:

عبد الناصر (2006) في رسالته المقدمة لنيل شهادة ماجستير تحت عنوان سورة الكهف دراسة دلالية يبحث عن المعنى الدلالي في هذه السورة وتتضمن الدراسة المستوى الصوتي وعلاقة الصوت بالدلالة، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي والمستوى المعجمي والسياقي دلالات كل من هذه المستويات في السورة. وهناك مقال لبابو (2008) في دلالة أدوات الشرط ويتناول البحث البنية الدلالية لأدوات الشرط لدى النحويين والبلاغيين وبيّن الدور الدلالي الذي يقوم به كلّ أداة على حدة ويهدف إلى استجلاء الفروق الدلالية بين أدوات الشرط من حيث الاستعمال اللغوي في التركيب الكلامي. كذلك مقال آخر تحت عنوان أثر الدلالة اللغوية في التأويل عند المفسيرين لكمال المقابلة (2009) قصر الدراسة على جهود المفسرين وعلى علم الدلالة اللغوية وعرض لآراء أبرز المفسرين في هذا المجال وأيضاً كتبت رضوان شيهان بحثاً في أثر الدلالة النحوية في الدرس المصطلحي عند تمام حسان ومهدي المخزومي (د.ت) وبحثت الدراسة عن أثر الدلالة النحوية في محاولات تحديد المصطلح النحوي وتيسيره عند الأستاذين، وهناك بحث آخر لحسن محمد تحت عنوان الدلالة النحوية لقرّاء البصرة (2010) الذي يدرس الكلمات القرآنية في قراءاتها المختلفة ويبرز أثرها في استنباط الأحكام الشرعية. وهناك رسالة لعبد الواحد (2012) وعنوانها أثر الدلالة النحوية في تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة نموذجاً) وتوضح مكانة القرآن الكريم ثم العلاقة بين النحو والتفسير والدلالة ثم دلالات الحذف في هذه السورة ودلالات التقديم والتأخير ثم دلالات الربط وأساليبه.

أما بالنسبة إلى أدوات الشرط علاوة على ما ذكر في دلالة الشرط هناك دراسات أخرى منها:

إسماعيل عمايرة (1417ق.) في بحثه نظرة مقارنة إلى المدرسة النحوية العربيه من خلال باب الشرط قام بالمقارنة بين المدراس النحوية العربية ودراسة أسلوب الشرط فيها، ومحمد البيك (2014)في رسالة تحت عنوان تحليل جمل الشرط وبيان أثرها على المعنى التفسيري، وقف على جملة الشرط واستقراء مواضعها من سور الأعراف والأنفال والتوبة وقام بتحليل جملة الشرط وبيان أثرها التفسيري للآيات ويتحدث عن علاقة التفسير التحليلي بعلم النحو والإعراب.وسهام إسماعيل (2015) في مقالتها دلالة أنماط الجملة الشرطية الجازمة على المعنى في سورة آل عمران فيدرس هذا البحث دراسة الجملة دراسة دلالية معنوية والاتساع في دراسة سياقها وقرائنها المعنوية، وأنماط بنائها وطرائق إسنادها حيث المعنى المراد، وتطبق الباحثة بحثها هذا عن طريق دراسة أنماط الجملة الشرطية في سورة آل عمران ودور الأدوات الشرطية والجمل الفعلية الماضية والمضارعة في تقديم المعنى المراد.

وأما بالنسبة إلى القصص المختارة فتذكر الرسالة بعض من أهم الدراسات وفي مقدمتها:

ستي رملة (2007م.) في بحثها الجامعي تحت عنوان قصة النبي نوح عليه السلام في القرآن الكريم: دراسة تحليلية ستيلستيكية، قامت بتحليل تناسق الأصوات التي ينشأ منها الإيقاع الموسيقي بالفواصل الموافقة وتراكيب الجمل الخاصة المختارة لتعبير المقاصد العديدة. وكذلك الملفوح (2009م.) كتب رسالة و عنوانها أصول الإيمان في قصة إبراهيم عليه السلام وتناول العقيدة في حياته عليه السلام ومدى توثيق العقيدة في حياة هذا النبي واستخرج أصول الإيمان في هذه القصة ويتحدث عن دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على تقرير التوحيد ودلالة قصته على إثبات الإيمان وعلى إثبات اليوم الآخر والقضاء والقدر. وقادري (2010م.) في رسالته ترجمة ظاهرة الإطناب في قصة موسى عليه السلام، درس ظاهرة الإطناب في ترجمة هذه القصة وقام بتحليل الأغراض البلاغية للظاهرة وتطبيق الجوانب النظرية والدلالية لها على بعض الآيات من قصص القرآن الكريم، ويتضمن نقل ظاهرة الإطناب في ترجمة أبوبكر حمزة أنموذجاً ويبحث عن مدى تقبل اللغة الفرنسية لخصائص اللغة العربية عنها من حيث الحقول الدلالية والثقافية والاجتماعية مثل اللغة العربية، وكذلك يبحث عن مدى حرية تصرف المترجم في النص الأصلي.

هذه البحوث كلّها يساعدنا في فهم القرآن الكريم وأما بالنسبة إلى هذه الدراسة فيدرس البحث دلالة أداة (إن) في القصة المختارة التي قد وردت في السور المختلفة غير السور التي درسها الآخرون لهذا الجديد في هذا البحث دراسة نحوية دلالية لأداة (إن) في القصة المختارة.

اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي التوصيفي الذي يركّز على دراسة التراكيب المرتبطة بأداة (إن) في القصص ، وقد قامت الدراسة في المرحلة الأولى باستخراج الجملات الشرطية التي وردت فيه (إن) من القرآن الكريم في كل قصة على أساس ترتيب ورود الآيات في القرآن الكريم، وقمنا بإحصاء هذه الأداة في كل قصة، ثم بينا دلالاتها في الآيات المستخرجة.

و يحاول هذاالبحثأنيقومبالإجابة على أسئلةالتالية:

-ما هي الدلالات التي تستخرج من أداة (إن) في القصة القرآنية المختارة؟

-كيف الارتباط بين هذه الأداة في السور المتعددة؟

2- أداة (إن) ودلالاتها

حرف شرط جازم، يفيد تعليق الجواب وتحققه، بوقوع الشرط وتحققه، من غير دلالة على زمان أو مكان، أو عاقل، أو غيرعاقل.[4]، قال السامرائي: «(إن) تستعمل في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها، والموهومة والنادرة والمستحيلة، وسائر الافتراضات الأخرى فهي لتعليق أمر بغيره عموماً».[5] وتعد (إن) أم أدوات الشرط؛ وقد نقل عن سيبويه قوله: «وزعم الخليل أنّ (إن) هي أم حروف الجزاء، فسألته: لم قلت ذلك؟ فقال: من قبل أني أرى حروف الجزاء، قد يتصرفن فيكنّ استفهاماً، ومنها ما يفارقه (ما)، فلا يكون فيه الجزاء، وهذه على حال واحدة أبداً لا تفارق المجازاة».[6]

فأصبحت عنوان أدواته، فكان من الطبيعي أن تحظى بأكبر قدر من التحليل والدراسة بين بقية أخواتها في الدراسات النحوية، وربما كان السبب في ذلك أنها الأداة الوحيدة التي تتمحض لمعنى الشرط بحيث لا تنفك عنه في الاستعمال ولا تعبر عن غيره وأنها لا تشعر بزمان يكون توقف حصول الجزاء على حصول الشرط من لفظها وتكمن أهميتها في مرونة التركيب الشرطي بها فهي تتشكل في صورة متنوعة كازدواجها مع لام القسم أو مع أداة النفي (لا) فتعبر عن ذلك شرط معلق بنفي فيظن من لا معرفة له أنها (إلّا) الاستثنائية.

قال ابن يعيش: «هي أم حروف الجزاء مبهمة، لا تستعمل إلا فيما كان مشكوكاً في وجوده».[7] ويقع بعدها الماضي والمضارع، وحقها أن يليها المضارع، كقولك: (إن تجتهد تنجح)، وهي حرف دال على المستقبل، فإن وليها الماضي فهو مؤول بالمستقبل نحو: (إن قمت قمتُ) أي: (إن تقمْ أقمْ)، وذلك لأن (إن) تفيد تعليق حصول الجزاء بحصول الشرط في المستقبل.[8]

وقد يأتي الشرط مع (إن) دالاً على الماضي وخصوصاً إذا وقع بعدها الفعل (كان) الذي تدل على الزمن الماضي المنقطع، فيكون الشرط معها بمعنى فرض الوقوع في الماضي، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة، 116)، فهذا التركيب لا يمكن الاستفادة منه على الاستقبال بل على المضي، نقل عن ابن السراج: «أن هذا التركيب يفيد الاستقبال والتقدير عنده: (إن أكن قلته)» ونعته الرضي بظاهر الفساد، لأن هذه الحكاية إنما تجري يوم القيامة وكون عيسى، قائلاً ذلك أو غير قائل إنما هو في الدنيا، ومثله قولك: (إن كنت أعطيتني أمس فسوف أكافئك اليوم)، وقوله تعالى: (إن كان) فظاهر في المضي.[9]

وقد يدل الشرط مع (إن)، على الحال فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْكُنْتُمْفي رَيْبٍمِمَّانَزَّلْناعَلى عَبْدِنافَأْتُوابِسُورَةٍمِنْمِثْلِهِوَادْعُواشُهَداءَكُمْمِنْدُونِاللَّهِإِنْكُنْتُمْصادِقِينَ﴾ (البقرة، 23) وهذا افتراض لحالتهم آنذاك... ومما يفيد الحال كثيراً، أسلوب الإلهاب والتهييج، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْأَخَذْناميثاقَكُمْوَرَفَعْنافَوْقَكُمُالطُّورَخُذُوا ما آتَيْناكُمْبِقُوَّةٍوَاسْمَعُواقالُواسَمِعْناوَعَصَيْناوَأُشْرِبُوافِي قُلُوبِهِمُالْعِجْلَبِكُفْرِهِمْقُلْبِئْسَمايَأْمُرُكُمْبِهِإِيمانُكُمْإِنْكُنْتُمْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة، 93).[10]

وأصل استعمال (إن) بالحقيقة اللغوية عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل، وعدم الجزم أي الشك والتوهم في وقوعه في المستقبل، فالأصل في (إن) أن لا يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه، كقولك لصاحبك: (إن تكرمْني أكرمْك) وأنت لا تقطع بأنه يكرمك.[11] فـ(إن) ههنا دخلت على المشكوك بوقوعه، وقد تدخل على المعلوم وقوعه إلا أن العلم بوقوعه مبهم الزمان لقولك: (إن مات زيد فافعل كذا) فالموت مجزوم بوقوعه إلا أن زمانه مبهم.[12]

وقد تقع (إن) موضع (إذا) فتدل على الجزم بوقوع الشرط لنكت منها.[13]

أ – إظهار الجهل أو الخوف، وذلك إذا كان العبد يعرف أن سيده في الدار، وقد أوصاه أن لا يعلم أحداً بوجوده فيها، فيسأل العبد عن سيده هل هو في الدار؟ فيقول: (إن كان في الدار أخبرك) ويجب أن يقول: (إذا كان)، لأن (إذا) للشرط المجزوم بوقوعه، ووجود الأمير مجزوم بوقوعه، إلا أنه أوقع (إن) مكان (إذا) تجاهلاً وخوفاً.

ب – الدلالة على عدم جزم المخاطب بالشرط، ولو جزم به المتكلم كقولك لمن يكذبك أي: لمن يشك في صدقك وينسبه كذباً: (إن صدقتُ فماذا تفعل)، وهذا يعني أنك تجزم بشيء ولكن المخاطب الذي تخاطبه لا يجزم به فتستعمل (إن) مكان (إذا) والأصل استعمال (إذا) في هذا التركيب.

ج – تنزيل المخاطب العالم بوقوع الشرط منزلة الجاهل لمخالفة مقتضى العلم، كقولك لمن يؤذي أباه: (إن كان أباك فلا تؤذه) فعلم المخاطب بأنه أبوه محقق، ومقتضاه أنه لا يؤذيه، لكنه لما أذاه نزّله المتكلم منزلة الجاهل بالأبوة، فعبر بـ(إن) لأجل أن يجري الكلام على سنن اعتقاده تنزيلاً.

د – المحال المقطوع بعدم وقوعه، وتستعمل فيه (إن) لتنزيله منزلة ما لا قطع بعدمه، على سبيل المساهلة وإرخاء العنان لقصد التبكيت، كقوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (الزخرف، 81)

هـ – التوبيخ على فعل الشرط، وتصوير أن المقام لا يصح إلا لفرضه كما يفرض المحال كقوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ (الزخرف، 5) فيمن قرأ بكسر همزة (إن) لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب الإسراف، وتصوير أن الإسراف من العقل في هذا المقام واجب الانتفاء، حقيق أن لا يكون ثبوته له إلا على مجرد الفرض.

و – التوبيخ أو التغليب: كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة، 23) «فالمقام يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها عن أصلها، ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين منهم على المرتابين، فإنه كان يفهم من يعرف الحق، وإنما ينكر عناداً، ومنهم المؤمن غير المرتاب فغلب غير المرتابين على المرتابين».[14]

3- **القسمالتحليلي**: إن ودلالاتها في قصة النبي موسى عليه السلام

قد ذكراللّهتعالىالقصةالنبيموسى – عليهالسلام– في مواضع كثيرةمتفرقة من القرآن، وذكرهافي مواضع متعددةمبسوطةمطولةوغيرمطولةومنالآياتالشرطيةفيشأنهي:

1- وقال الله تعالى: ﴿قالُواادْعُلَنارَبَّكَيُبَيِّنْلَنا ما هِيَإِنَّالْبَقَرَتَشابَهَعَلَيْناوَإِنَّاإِنْشاءَاللَّهُلَمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة، 70)

«ولمابين سبحانه سن البقرةولونهافيالآياتالسابقةمنها، سألوا عن صفتها فـ«قالُوا» ياموسى «ادْعُلَنارَبَّكَيُبَيِّنْلَنا ما هِيَ» أي من العواملأم من السوائم «إِنَّالْبَقَرَتَشابَهَعَلَيْنا» أياشتبهعلىناصفةالبقرةالتيأمرناللّهبذبحها «وَإِنَّاإِنْشاءَاللَّهُلَمُهْتَدُونَ» إلىصفةالبقرةبتعريفاللّهإياناوبمايشاؤهلنا من اللطفوالزيادةفيالبيان».[15] «وفيتعليقهدايتهمبمشيئةاللّهإنابةوانقيادودلالةعلىندمهمعلىتركموافقةالأمر، وجوابهذاالشرطمحذوفيدلعليه مضمون الجملة، أيإنشاءاللّهاهتدينا، وقياسالشرطالذي حذف جوابهأنيتأخر عن الدليلعلىالجواب، فكانالترتيبأنيقالفيالكلام: إنزيدالقائمإنشاءاللّه، أي: إنشاءاللّهفهو قائم، لكنه توسط هنابين اسم إنوخبرها، ليحصل توافق رؤوسالآي، وللاهتمامبتعليقالهدايةبمشيئةاللّه، وجاء خبر إن اسما، لأنهأدلعلىالثبوتوعلىأنالهدايةحاصلةلهم، وأكد بحر فيالتأكيدأنواللام، ولم يأتوابهذاالشرطإلاعلىسبيلالأدبمعاللّهتعالى، إذأخبروابثبوتالهدايةلهم».[16]

فأداة (إن) فيالآيةالشريفة، وضعت موقع إذا، من حيثأنهمواثقونبأنالهدايةحاصلةلهم، ولكنهمكماذكرجاؤوا بها من أجلالأدب.

2- وقوله تعالى: ﴿وَقالَلَهُمْنَبِيُّهُمْإِنَّآيَةَمُلْكِهِأَنْيَأْتِيَكُمُالتَّابُوتُفيهِسَكِينَةٌمِنْرَبِّكُمْوَبَقِيَّةٌمِمَّاتَرَكَآلُمُوسى وَآلُهارُونَتَحْمِلُهُالْمَلائِكَةُإِنَّفي ذلِكَلَآيَةً لَكُمْإِنْكُنْتُمْمُؤْمِنينَ﴾(البقرة، 248)

«وجوابالشرطمحذوفيفسره ما قبله. التقدير: إنكنتممؤمنينباللّهفاتعظوا».[17] «وَقالَلَهُمْنَبِيُّهُمْ: إِنَّآيَةَعلامةمُلْكِهِ أنه من اللّه أَنْيَأْتِيَكُمُالتَّابُوتُ: هو أنيردعليكمالتابوتالذيأخذمنكم فِيهِسَكِينَةٌ: رحمةوطمأنينةمِنْرَبِّكُمْوَبَقِيَّةٌيعني: كتابموسى مِمَّاتَرَكَآلُمُوسى: تركألواحهوعصاه وَآلُهارُونَ ماترك هارون:

رداؤهوعمامته تحت الملائكةتَحْمِلُهُ: تسوقه الْمَلائِكَةُإليكم إِنَّفِيذلِكَ: فى رد التابوتإليكم لَآيَةً: علامةلَكُمْ أنملكه من اللّه إِنْكُنْتُمْمُؤْمِنِينَ: مصدقين».[18]

إنأداة (إن) تدلعلىالزمنالحال، للإلهابوالتهييج، أي الآن إنتصدّقواكلامي، وتؤمنواباللّهتعالى، فاتعظوا، فيهيجهمبتصديقكلامه، والإيمان به.

3- وجاءفيالذكرالحكيمقولهتعالى: ﴿وَلَقَدْأَخَذَاللَّهُميثاقَبَنِي إِسْرائِيلَوَبَعَثْنامِنْهُمُاثْنَيْعَشَرَنَقِيباًوَقالَاللَّهُإِنِّيمَعَكُمْلَئِنْأَقَمْتُمُالصَّلاةَوَآتَيْتُمُالزَّكاةَوَآمَنْتُمْبِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْوَأَقْرَضْتُمُاللَّهَقَرْضاًحَسَناًلَأُكَفِّرَنَّعَنْكُمْسَيِّئاتِكُمْوَلَأُدْخِلَنَّكُمْجَنَّاتٍتَجْرِيمِنْتَحْتِهَاالْأَنْهارُفَمَنْكَفَرَبَعْدَذلِكَمِنْكُمْفَقَدْضَلَّسَواءَالسَّبِيلِ﴾ (المائدة، 12)

«أخذ الله الميثاق: يعنيفيالتوراة من الإيمانباللّهتعالىوبأنبيائهوأنيعملوابمافيالتوراة، ثم قال: وَبَعَثْنامِنْهُمُاثْنَيْعَشَرَنَقِيباً: يعنيشهداءعلىقومهم، بعثاللّهتعالى من كلسبط منهم رجلاليأخذكل رجل منهم علىسبطهالميثاق، يكونواشهداءعلىقومهم. قالَاللَّهُ تعالىللنقباء: إِنِّيمَعَكُمْ ويقال: قال اللّهلبنيإسرائيلحينأخذعليهمالميثاقفيالتوراة: إِنِّيمَعَكُمْ أيمعينكموحافظكمونا صركم لَئِنْأَقَمْتُمُالصَّلاةَيعني: ما دمتمأقمتمالصّلاةوَآتَيْتُمُالزَّكاةَوَآمَنْتُمْبِرُسُلِي يعني: صدقتمبرسلي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ يعني: أعنتموهوَأَقْرَضْتُمُاللَّهَقَرْضاًحَسَناًأيتأمرونقومكمبذلك. ثمبيّنجزاءهموثوابهمإنفعلواذلكفقال: لَأُكَفِّرَنَ أي: لأمحونّ عَنْكُمْسَيِّئاتِكُمْ: يعنيذنوبكم وَلَأُدْخِلَنَّكُمْجَنَّاتٍتَجْرِيمِنْتَحْتِهَاالْأَنْهارُثم قال: فَمَنْكَفَرَبَعْدَذلِكَ العهدوالميثاق مِنْكُمْفَقَدْضَلَّسَواءَالسَّبِيلِ: يعنيأخطأ قصد الطريق».[19] إن أداة (إن) المسبوقة باللام القسم تفيد الإلهاب والتهييج، والله تعالى يهيج بني اسرائيل بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتصديق الرسل وتعزيزهم، والأعمال الخير الأخرى والأمر الذي يسبب هذا التهييج هو وعد إلهي يعني: النصرة، والمغفرة والجنة لهم، فالله تعالى جاء بجزاء عظيم بالنسبة إلى أعمالهم الصالحات، وأفعال الشرط كلها في هذا القسم من الآية جاء على صيغة الماضي، مما يدل على كثرة هذه الأحداث فكلها يجب أن يكون كثيراً ومكرراً ولا للمرة الواحدة أو المرتين فقط.

4-وقوله تعالى: ﴿قالُوايامُوسى إِنَّفِيهاقَوْماًجَبَّارِينَوَإِنَّالَنْنَدْخُلَهاحَتَّيَخْرُجُوامِنْهافَإِنْيَخْرُجُوامِنْهافَإِنَّادا خِلُونَ﴾ (المائدة، 22)

«وهذا خبر من اللّه عز ذكره عن قول قوم موسلموسى جواباً لقولهلهم: ادْخُلُواالْأَرْضَالْمُقَدَّسَةَالَّتِيكَتَبَاللَّهُلَكُمْ فقالوا: إِنَّالَنْنَدْخُلَهاحَتَّيَخْرُجُوامِنْهايعنون: من الأرضالمقدسةالذيفيهاالجبارون، جبنا منهم وجزعا من قتالهم. وقالوا له: إنيخرجمنهاهؤلاءالجباروندخلناها، وإلافإنا لا نطيقدخولها وهم فيها، لأنه لا طاقةلنا بهم ولايد».[20] فأداة (إن) ههناإماتدلعلىأمر محتمل الوقوع، من حيثأنهم لا يعلمونبأنالجبارينيخرجون من هذاالديار، أويبقونفيه، فإنخرجوا فهم يدخلونفيها، وإن لا يخرجوا فهم لا يدخلونفيها. وإماتدلعلىالتهييج، بأنهميريدونأنيقولوالموسى: إنتريدأنندخلفيهافأخرِجمنهاالجبارين، فأرادوابهذاالقولأنيهيجواموسى – عليهالسلام- علىإخراجالجبارين. وجيء بالفعل المضارعفيالشرطلأنهقلإحتمالحدوثه، فاحتمال خروج الجبارينكانفيرأيهمقليلاً.

5-وقولهتعالى: ﴿قالَرَجُلانِمِنَالَّذِينَيَخافُونَأَنْعَمَاللَّهُعَلَيْهِمَاادْخُلُواعَلَيْهِمُالْبابَفَإِذادَخَلْتُمُوهُفَإِنَّكُمْغالِبُونَوَعَلَىاللَّهِفَتَوَكَّلُواإِنْكُنْتُمْمُؤْمِنِينَ﴾(المائدة، 23)

«قال رجلان مِنَالَّذِينَيَخافُونَ اللّهفيمخالفةأمره: أَنْعَمَاللَّهُعَلَيْهِمَابالفضلواليقين: ادْخُلُواعَلَيْهِمُالْبابَ ...، وإنّماقالاذلكتيقّنابنصراللّه، وإنجاز وعده لنبيّه. (واحدي، 1415ق: ج1، 315)، وأَنْعَمَاللَّهُعَلَيْهِمَابالإيمانفآمنا، قالالهم: إنالعمالقةأجسام لا قلوب فيها، فلاتخافوهموازحفوااليهمفإنكمغالبوهم».[21] إنفيالآيةالشريفةهذه، جملتينشرطيتين، فالأداةفيالجملةالأولىهي: (إذا) التيتدلعلىالزمنالمستقبلالمقطوعبوقوعه، فقالالرجلانهذاالكلام، لماكانفيقلوبهما من الاطمئنانوالرجاءالعميقإلىالنصر، وجيء بالفعل الماضيللتفاؤلوإظهارالرغبة، فهمايرغبانالحولفيها، ثمجعلا شرط الإيمانباللّه، التوكلعليه، فهمأرادابهذاالقول، تهييجالقوم، وجاءابأداة (إن) للدلالةعلىالزمنالحال من أجلالإلهابوالتهييجفيالتوكلعلىاللّهتعالى.

6-وقوله تعالى: ﴿فَإِذاجاءَتْهُمُالْحَسَنَةُقالُوالَناهذِهِ وَإِنْتُصِبْهُمْسَيِّئَةٌيَطَّيَّرُوابِمُوسى وَمَنْمَعَهُأَلا إِنَّماطائِرُهُمْعِنْدَاللَّهِوَلكِنَّأَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف، 131)

«فإذاجاءت آل فرعون العافيةوالخصبوالرخاءوكثرةالثمار، ورأوا ما يحبونفيدنياهم قالُوالَناهذِهِ نحنأولى بها. وَإِنْتُصِبْهُمْسَيِّئَةٌيعنيجدوبوقحوطوبلاء، يَطَّيَّرُوابِمُوسى وَمَنْمَعَهُ يقول: يتشاءمواويقولوا: ذهبتحظوظنا من الرخاءوالخصبوالعافية، مذجاءناموسعليهالسلام».[22]

هناكجملتانشرطيتانفيالآيةالشريفة، فالأداةفيالجملةالأولىهي (إذا) وهيتدلعلىالأمرالمقطوعبوقوعهوأماالأداةفيالجملةالثانية، هي (إن) هذهالجملةأيضاً قول اللّهتعالىفيالأحداثالتيوقعتعليهمفيالسابق، ولكنهجاءباداة (إن) في موضع (إذا) للدلالةعلىقلة وقوع الحدثأيقلةإصابتهمبالسيئة، يعنييمكنأنجاءتهمسيئةٌولكنهاقليل، فلهذاجاءبالسيئةنكرةًليبينلناهذا، وكذلكجاء بالفعل المضارع، لأنه من دلالات فعل المضارعهيقلة احتمال وقوع الحدث.

7-وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّاوَقَعَعَلَيْهِمُالرِّجْزُقَالُوايامُوسَىادْعُلَنَارَبَّكَبِماعَهِدَعِنْدَكَلَئِنْكَشَفْتَعَنَّاالرِّجْزَلَنُؤْمِنَنَّلَكَوَلَنُرْسِلَنَّمَعَكَبَنِي إِسْرائِيلَ﴾ (الأعراف، 134)

«كلمانزلعليهمالعذاب مثل الطوفانوالجرادوالقملوالضفادعوالدم قالُوايامُوسَى سل لناربك بماأمرربك لَئِنْ رفعت عنا العذاب لنصدقك وَلَنُرْسِلَنَّمَعَكَبَنِيإِسْرائِيلَ معأمواهمقلليلهموكثيرهم».[23]

إنفيالآيةجملتينشرطيتين؛ فالأداةفيالجملةالأولى، هي (لمّا) التيتكونالحينية، وأماالأداةفيالجملةالثانيةهي (إن) المسبوقةبالقسم، التيتدلعلىالزمنالحال، وتفيدأسلوبالإلهابوالتهييج، يعنيإنترفع الآن العذاب عنا، فنحننصدقك، فهم كانوايريدونأنيهيجواموسى – عليهالسلام- علىالدعاءلرفعالعذابعنهم، والفعلالماضيفيها، يدلعلى انقضاء الحدثوتمامه، ورفعالعذابيعني انتهاء العذابوتمامه.

8-وقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُعَنْآياتِيَالَّذينَيَتَكَبَّرُونَفِيالْأَرْضِبِغَيْرِالْحَقِّوَإِنْيَرَوْاكُلَّآيَةٍ لا يُؤْمِنُوابِهاوَإِنْيَرَوْاسَبِيلَالرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُسَبِيلاًوَإِنْيَرَوْاسَبِيلَالغَيِّيَتَّخِذُوهُسَبِيلاًذلِكَبِأَنَّهُمْكَذَّبُوابِآياتِناوَكانُواعَنْهاغافِلِينَ﴾ (الأعراف، 146)

«فمعنىالآيةالإخبار من اللّهأنهيصرف عن ثواب آياتهالذينإذاشاهدواالحججوالبراهين لا ينقادونلها، ولايصدِّقون بها وأنهممتىرأواسبيلالصلاحعدلواعنه، ولم يتخذوهطريقالهمبمعنىأنهم لا يعملونبذلك «وَإِنْيَرَوْاسَبِيلَالغَيِّ ...» يعنيوإنيروا ضد الرشد من الكفروالضلالسلكوهوارتكبوامعصيةاللّهفيذلك».[24]، «وأنهم من غايةانهماكهمفيالضلال قد كَذَّبُوابِآياتِناالدالةعلىتوحيدناالمنزلةعلىرسلناوَكانُوا من غايةجهلهم عَنْهاوعنالامتثال بها والعملبمقتضاهاوالتدبرفي معناها غافِلِينَ غفلةمؤبدة لا تيقظلهممنهاأصلا».[25]

قد تكررتأداة (إن) ثلاثمراتفيالآية، وكلهاوقعت موضع (إذا) من حيثأنها من كلامااللّهتعالىوهو عالم بحقيقةالأموروبواطنالناس، فهويقول: إذارأوالهداية لا يقبلونها، وإذارأوالضلاليسلكونه، فيحتملأناستخدمااللّهتعالىأداة (إن) فيهالتوبيخالمتكبرين، لماجاءفيبدايةالآيةقوله: «سَأَصْرِفُعَنْآياتِيَالَّذينَيَتَكَبَّرُونَفِيالْأَرْضِبِغَيْرِالْحَقِّ» فهذا يبين لنا أن الذين يتكبرون في الأرض ويسلكون سبيل الظلال والكفر، فجزائهم إصراف عن آيات الله تعالى. والأفعال المضارعة في الشرط كلها تدل على تكرار الحدث وتجدده، فرؤية آيات الله وسبل هدايته، أو سبل الضلال، وقعت عليهم مرات متعددة.

9-وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّاسُقِطَفي أَيديهِمْوَرَأَوْاأَنَّهُمْقَدْضَلُّواقالُوالَئِنْلَمْيَرْحَمْنارَبُّناوَيَغْفِرْلَنالَنَكُونَنَّمِنَالْخاسِرِينَ﴾ (الأعراف، 149)

«أيلمّاندمواعلىجنايتهمواشتدندمهمموحسرتهمعلىعبادةالعجل وتبينواضلالهمتبيناجليا كأنهمأبصروهبعيونهم قالُوالئن لم يتداركنااللّهبرحمتهومغفرته لنكونّ من الهالكين».[26] وهذا اعتراف منهم بذنبهموالتجاءإلىاللّه عزّ وجل.

هناكفيالآيةجملتانشرطيتان، فالأداةفيالأولىهي: (لمّا) وأماالأداةالثانية، هي: (إن) المسبوقةبلامالقسم، التيتدلعلىأمر محتمل الوقوع، فهم كانوايخافون من عدم مغفرةاللّهلهم، وهذاالقول اعتراف منهم بذنبهموالتجاءإلىاللّه عزّ وجلّ.

10-وقوله تعالى: ﴿وَقالَمُوسى ياقَوْمِإِنْكُنْتُمْآمَنْتُمْبِاللَّهِفَعَلَيْهِتَوَكَّلُواإِنْكُنْتُمْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس، 84)

«وهناشرطان، فيقولهتعالى: إِنْكُنْتُمْآمَنْتُمْبِاللَّهِوجاء جواب هذاالشرطفقولهسبحانه:فَعَلَيْهِتَوَكَّلُوا، ثمجاءبشرط آخر هو: إِنْكُنْتُمْمُسْلِمِينَوهكذاجاءالشرطالأولوجوابه، ثمجاء شرط آخر، وهذاالشرطالآخر هو الشرطالأولوهوالإسلاملله؛ لأنالإيمانباللّهيقتضيالإسلاموأنيكونوامسلمين. ومثالذلكفيحياتنا: حينيريد ناظر إحدىالمدارسأنيعاقبتلميذاخالفأوامرالمدرسةونظمها، ويستعطفالتلميذالناظر، فيردالناظرعلىهذاالاستعطافبقوله: «إنجئتيومالسبتالقادمقبلتكفيالمدرسةإنكانمعكوليّأمرك؛ ومجيءوليالأمرهنا مرتبط بالموعدالذيحددهالناظرلعودةالتلميذلصفوفالدراسة، وهكذانجدأنالشرطالآخر مرتبط بالشرطالأول.

وهنايتجلّىلكفي قول الحق سبحانه: ﴿إِنْكُنْتُمْآمَنْتُمْبِاللَّهِفَعَلَيْهِتَوَكَّلُوااِنْكُنْتُمْمُسْلِمِينَ﴾ الإيمان- كمانعلم- عمليةوجدانيةقلبية، والإسلامعمليةظاهرية، فمرةينفذالفردتعاليمالإسلام، وقدينفكمرةأخرى من تنفيذالتعاليم رغم إيمانهباللّه، ومرةتجد واحداً ينفذتعاليمالإسلامنفاقا من غيررصيد من إيمان. وهكذانرىأنالتوكل مطلوب الإيمان، وأنيسلمالإنسانزمامهفيكلأمرإلى من آمن به؛ ولذلك لا ينفعالإيمانإلابالإسلام، فإنكنتممسلمينمعإيمانكمفتوكلواعلىاللّهتعالى. لكنإنكنتم قد آمنتم فقط ولم تسلموا الزمامللّهفيالتكاليفإلىاللّهفهذاالتوكل لا يصلح».[27]

إنأداة (إن) فيالشرطين، تدلعلىالزمنالحال، وتفيدأسلوبالإلهابوالتهييج،فموسى – عليهالسلام- يهيجقومهأولاًبالإيمانباللّهتعالىثمالإسلام، ثمالتوكل به،وفيالأصليهيجهم على تقويةإيمانهمبالإسلام.

11-وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذْتَأَذَّنَرَبُّكُمْلَئِنْشَكَرْتُمْلَأَزِيدَنَّكُمْوَلَئِنْكَفَرْتُمْإِنَّعَذابي لَشَديدٌ﴾ (إبراهيم، 7)

«أيوآذنربكمإيذاناًبليغاًتنتفيعندهالشكوكوالغفلةلئنشكرتميابنيإسرائيل ما خولتكم من نعمةالإنجاءوغيرهالأزيدنكمنعمةإلىنعمةوَلَئِنْ كفرتمالنعموسترتموهاوجحدتموهاإِنَّعَذابِيلَشَدِيدٌوذلكبسلبهاعنهموعقابهإياهمعلىكفرهافيالدنياوالآخرة».[28]

هناكفيالآيةالشريفةهذه، جملتانشرطيتانوالأداةفيهما (إن) المسبوقةبالقسم، فـ(إن) الأولى قد جاءللإلهابوالتهييج، أييهيجموسى – عليهالسلام- قومهأنيشكروانعمةاللّه، ولكن (إن) الثانية قد أُستخدمت من أجلالتوبيخ، فموسى - عليهالسلام- قد بيّنلهمجزاءالشكروجزاءالكفر، ويوبخهمبأنهمإنيكفروافيعذبهماللّهعذاباًشديداً. والفعلانالماضيانفيهمايدلانعلىكثرةالحدوث، يعنيكثرةالشكروكثرةالكفر.

12- وقولهتعالى: ﴿وَقالَمُوسى إِنْتَكْفُرُواأَنْتُمْوَمَنْفِيالْأَرْضِجَميعاًفَإِنَّاللَّهَلَغَنِيٌّحَميدٌ﴾ (إبراهيم، 8)

«قال موسى –عليهالسلام- لبنيإسرائيل: اعلموأنّكمإنتكفروابااللّهوبكتابهوبرسوليهموسوهارون- عليهماالسّلام-وبماأنزل من حقائق دينيّةلهدايتكم، فإنّكملنتؤثّرواعلىاللّهبشيء، لأنّهغنيّبذاتهوبصفاته عن إيمانكم به، وبأيّشيء طلب منكمأنتؤمنوا به وتعلموابمقتضاه، وهو محمود فيالسّماواتوالأرض، فلاشيءفيالوجودإلّايسبّحبحمده».[29]

فأداة (إن) ههناجاءللتغليب، فموسييبينلهمغلبةقدرةاللّهعلىكلّشيء، فهويقوللهم: إنّكفرهموكذلككفركلالعالم لا يؤثرعلىاللّهأبداً. وأماالفعلالمضارعفيالشرطإماجاءللدلالةعلىافتراضتكرار حصول الحدثوتجدده، أي قد وقعتالكفر من جانبهممراتمتعددة، إماجاءللدلالةعلىتقليلالحدث، مماجاءفيالآيةالإشارةإلىكفر من فيالأرض، وهذاقليل، لأنّاللّهتعالى محمود فيالسماواتوالأرض.

13-وقوله تعالى:﴿قالَسَتَجِدُني إِنْشاءَاللَّهُصابِراًوَلاأَعْصي لَكَأَمْراً﴾ (الكهف، 69)

«وجواب الشرط محذوف لتقدم معناه، والتقدير: إن شاء الله ستجدني صابراً. حين قال الخضرلموسعليهالسلام:كيفتصبرعلى ما لم تعلم من بواطنالأمور، ولاتخبرها، فقال له موسعندذلك «ستجدني» ايستصادفنيإنشاءاللَّهصابراً، ولم يقللذلكعلى وجه التكذيب، لكنلماأخبر به على ظاهر الحالفقيدهبالمشيئةللَّه، لأنهجوزأن لا يصبرفيما بعد بأنيعجزعنهليخرجبذلك من كونهكاذباً «وَلاأَعْصِيلَكَأَمْراً» اي لا أخالفأوامرك، ولاأتركها».[30]

إن أداة (إن) تدل على امر محتمل الوقوع، فموسى – عليه السلام- يرجو الصبر، ولكنه لا يطمئن به ويتوكل على اللّه، ويفوّض أمره إلى الله تعالى. وجيء بلفظ الماضي المقطوع بكونه في معنى المضارع المشكوك في وقوعه، كذلك جاء به لإظهار الرغبة.

14- وقوله تعالى: ﴿قالَفَإِناتَّبَعْتَني فَلاتَسْئَلْني عَنْشَيْءٍحَتَّىأُحْدِثَلَكَمِنْهُذِكْراً﴾ (الكهف، 70)

«فقالالخضرفي جواب موسى: إنرأيت ما تنكرفلاتسئلنيوتعجلعليبالسؤالحتىأبينلكوجهه وشأنه».[31]

فأداة (إن) ههناوقعت موضع (إذا) من حيثأنالخضر عالم باتباعموسى له، ولكنهيجعل له شرطاًوهوأن لا يسئله عن شيءٍ، فهويريدأنيستخدمأداة (إن) لتنبيهموسى – عليهالسلام- بالصبروعدمالسؤال.

15- وأما قوله تعالى: ﴿قالَإِنْسَأَلْتُكَعَنْشَيْءٍبَعْدَهافَلاتُصاحِبْني قَدْبَلَغْتَمِنْلَدُنِّيعُذْراً﴾ (الكهف، 76)

«ويراجعموسى نفسه، فيجدأنه قد خالف ما اتفقعليهمعالرجلالصالحمرتين، فيبادريإخبار صاحبه أنيترك له فرصةأخيرةفيقول: إِنْسَأَلْتُكَ أيهاالصديق عَنْشَيْءٍبَعْدَهاأى: بعد هذهالمرةالثانيةفَلاتُصاحِبْنِي أي: فلاتجعلنيصاحباأورفيقالك، فإنك قَدْبَلَغْتَمِنْلَدُنِّيعُذْراًأي: فإنك قد

بلغتالغايةالتيتكونمعذورا بعدها فيفراقي، لأنأكون قد خالفتكمرارا. وهذاالكلام من موسى- عليهالسلام- يدلكعلىاعتذارهالشديدللخضر، وعلىشدةندمهعلى ما فرط منه، وعلىالاعتراف له بخطئه».[32]

إنّأداة (إن) ههناأستخدمتللتوبيخعلى فعل الشرط، وفيالأصلتوبيخموسى – عليهالسلام- على نفسه، فهوعلاوةأنيعترفبخطئهويعتذرللخضر، يوبخ نفسه، بأنهإنسأل عن شيء بعدها فالخضريختارأنيتركه. والفعلالماضييدلعلى حصول الحدثمرة، أيإنأسألكمرةواحدة بعدها.

16- وقولهتعالى: ﴿قالَرَبُّالسَّماواتِوَالْأَرْضِوَمابَيْنَهُمَاإِنْكُنْتُمْمُوقِنِينَ﴾(الشعراء، 24)

«وحذف جواب الشرطاختصارالأنه معلوم من الجوابالتقديروالمعنى: إنكنتممقتنعين تماما نفعكمهذاالجوابأوإنكنتممقتنعينبشيءفهذاالجوابأنفعلماتوقنون به»[33]، «يقول رب العالمين هو رب السمواتوالأرض وَمابَيْنَهُمَا من الخلقوالعجائب إِنْكُنْتُمْمُوقِنِينَ أيمصدقينبأناللّهخلقهما».[34]

فالأداةههنا (إن) وهيتدلعلىالزمنالحاللإلهابوالتهييج، أيموسى – عليهالسلام- يريدأنيهيجهمبالاعترافعلىتصديقربوبيةاللّهتعالى.

17- وقولهتعالى: ﴿قالَرَبُّالْمَشْرِقِوَالْمَغْرِبِوَمابَيْنَهُماإِنْكُنْتُمْتَعْقِلُونَ﴾ (الشعراء، 28)

«إلّاأنّالعيبكامنفيكم، لأنّكم لا تعقلون، ولم تعتادواالتفكير (وينبغيالالتفاتإلىأنجملةإِنْكُنْتُمْتَعْقِلُونَ هيإشارةإلىأنه لو كنتمتتفكرونوتستعملونالعقلفيماضيحياتكموحاضرهالتوصلتمإلىإدراكهذهالمسألة). وصحيحأنّموسعليهالسّلامأشاربادئالأمرإلىالتدبيرأمرالسماواتوالأرض، إلّاأنهحيثأنالسماءعالية جدا، وأنالأرض ذات أسرارغريبة، فقد وضع موسعليهالسّلامأخيراإصبعهعلىنقطة لا يمكنلأحدإنكارها، ويواجههاالإنسانكلّيوم، وهي نظام طلوع الشمسوغروبهاومافيها من منهجدقيق ... وليسلأحد من البشرأنيدعيأنّبيدهنظامهاأبدا».[35]

إن أداة (إن) في هذه الآية الشريفة تحتمل دلالتين؛ الأولى: الدلالة على أمر محال المقطوع بعدم وقوعه، أي أنتم لا تعقلون أبدا. والثانية: الدلالة على أسلوب الإلهاب والتهييج، أي موسى – عليه السلام- يقصد تهييجهم على التدبر في نظام العالم.

18- وقولهتعالى: ﴿قالَلَئِناتَّخَذْتَإِلهاًغَيْرِيلَأَجْعَلَنَّكَمِنَالْمَسْجُونِينَ﴾(الشعراء، 29)

«أيلأحبسنّكمع من حبستهفيالسّجن. ظنّ بجهلهأنيخافهويتركعبادةاللّهويتخذ فرعون إلها. وكان سجن فرعون أشدّ من القتل؛ لأنهكانإذا حبس الرجلطرحهفيمكانوحده لا يسمعفيهشيئا، ولايبصرفيهشيئا، وكانيهوي به فيالأرض».[36]

فأداة (إن) المسبوقةبلامالقسمجاءفيالآيةالشريفةهذه، للدلالةعلىالتوبيخوالتهديد، وفرعونيوبّخموسى – عليهالسلام- علىعبادةإلهغيره، ويهددهبإلقائهفيالسجن. والفعلالماضييدلعلى انقضاء الحدثوتمامه، أياتخذتإلهاًغيري ولم ترجع عن رأيكواعتقادك.

19- وقولهتعالى: ﴿قالَفَأْتِبِهِإِنْكُنْتَمِنَالصَّادِقِينَ﴾ (الشعراء، 31)

«قالَ فرعون فَأْتِبِهِإِنْكُنْتَمِنَالصَّادِقِينَ فيأنلكبينةأوفيدعواك، فإنمدعيالنبوة لا بدّ له من حجة».[37]

إنالأداة (إن) ههناكذلكتحتملدلالتين؛ فالأولى: الدلالةعلىأسلوبالإلهابوالتهييج، يعني فرعون يقصدأنيهيجموسى – عليهالسلام- علىإتيانبالمعجزة، وأماالثانية: فهيتدلعلىأمر محال المقطوعبعدموقوعه، أيفيرأي فرعون لايقدرموسعلىهذاالأمروهولايصدقبأن له بينة، واللّهأعلمبماأنزل.

20- وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّنانَتَّبِعُالسَّحَرَةَإِنْكانُواهُمُالْغالِبِينَ﴾ (الشعراء، 40)

«أيوقالقائلهم: إنانرجوأنيتغلبالسحرة، فنستمرعلىدينهم، ولانتبعدينموسى. ولم يقولوا: نتبعالحق، سواءكان من السحرةأو من موسى؛ لأنالرغبةعلىدينملكهم».[38]

فأداة (إن) ههناتدلعلىأمر محتمل الوقوع فهم لا يثقونبانتصارالسحرةعلىموسىلكنهميرجونهذا، فكذلكجاءاللّهتعالى بالفعل الماضي من قبلهم من أجلالتفاؤلوأيضاإظهارالرغبة، فهم يرغبونويتفاءلونبالغلبةعلىموسعليهالسلام.

21- وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّاجاءَالسَّحَرَةُقالُوالِفِرْعَوْنَأَإِنَّلَنالَأَجْراًإِنْكُنَّانَحْنُالْغالِبِينَ﴾ (الشعراء، 41)

«عندماجاءالسحرةطلبوا من فرعون الجزاء، وهو بذل المالوالجاهفبذللهمذلككله، وأكدهبقوله: «قالَنَعَمْوَإِنَّكُمْإِذاًلَمِنَالْمُقَرَّبِينَ»».[39]ولكنههناك شرط وهوالغلبةعلىموسعليهالسلام.

ففيالآيةالشريفةجملتانشرطيتان؛ والأداةفيالأولىهي (لمّا) الحينيةالتعليقية، وأماالأداةفيالثانيةفهي (إن) التيتدلعلىأمر محتمل الوقوع، فهم يرجونالانتصاروالغلبة، وللدلالةعلىإظهارهمالرغبةجيء بالفعل الماضيفيالشرط.

22- وقال الله تعالى: ﴿قالَإِنِّيأُرِيدُأَنْأُنْكِحَكَإِحْدَابْنَتَيَّهاتَيْنِعَلى أَنْتَأْجُرَنِي ثَمانِيَحِجَجٍفَإِنْأَتْمَمْتَعَشْراًفَمِنْعِنْدِكَوَماأُرِيدُأَنْأَشُقَّعَلَيْكَسَتَجِدُنِي إِنْشاءَاللَّهُمِنَالصَّالِحِينَ﴾ (القصص، 27)

«قالَ شعيبإذاإِنِّيأُرِيدُأَنْأُنْكِحَكَإِحْدَابْنَتَيَّهاتَيْنِ ممايدلعلى تقدم الرجلفيقولةالنكاحإيجاباومنثمالقبول من المرأة، كما هو طبيعةالحالبينالجنسين، ونصالقرآن عَلى أَنْتَأْجُرَنِي وهوالصداقوقدقبلتهأنيكونلأبيهابقولها:" اسْتَأْجِرْهُ" ولأنإجارتهراجعةإلىكلالعائلةوهي منهم ثَمانِيَحِجَجٍ: سنين، ممايعظم موقف الحج خلال كلسنةفَإِنْأَتْمَمْتَعَشْراًفَمِنْعِنْدِكَ تخيرافيه دون شرط وَماأُرِيدُأَنْأَشُقَّعَلَيْكَ فيذلكالاستيجارسَتَجِدُنِيإِنْشاءَاللَّهُمِنَالصَّالِحِينَ».[40]

هناكجملتانشرطيتانفيالآيةالكريمةهذه، والأداةفيهما (إن) وهيفيالجملةالأولى (إنأتممت...) تدلعلىأمر محتمل الوقوع، من حيثأنشعيبلايدريأنموسى – عليهالسلام- يتم عشر سنوات أم لا، فهو قال هذاالكلممن جهةالاحتمالوإظهارالرغبة، ولهذااستخدمالفعلالماضي، وأماالجملةالثانيةهي: (إنشاءاللّه...)، فإنأداة (إن) ههناتدلعلىالمستقبلالمقطوعبوقوعه، لأنشعيبيثقبنفسهالصالح، ولكنهجاءبأداة (إن) من جهةالأدبالنسبةإلىاللّهتعالى، كماذُكرفيتحليلالآية 102 من سورةالصافاتالتيجاءتفيقصةالنبيإبراهيمعليهالسلام.

23- وقولهتعالى:

﴿وَقالَرَجُلٌمُؤْمِنٌمِنْآلِفِرْعَوْنَيَكْتُمُإِيمانَهُأَتَقْتُلُونَرَجُلاًأَنْيَقُولَرَبِّيَاللَّهُوَقَدْجاءَكُمْبِالْبَيِّناتِمِنْرَبِّكُمْوَإِنْيَكُكاذِباًفَعَلَيْهِكَذِبُهُوَإِنْيَكُصادِقاًيُصِبْكُمْبَعْضُالَّذِييَعِدُكُمْإِنَّاللَّهَ لا يَهْدِيمَنْهُوَمُسْرِفٌكَذَّابٌ﴾ (غافر، 28)

«فلمّااستعاذموسىربّه من شرّ فرعون، وانتشرهمّه بقتل موسى، حكى سبحانه دفعه القتلعنهببعث رجل يردّعنهبقولهتعالى: وَقالَ إذن رَجُلٌ كاملفي صفات الرجوليةمُؤْمِنٌ باللّهوبموسفي نفسه وعلىأيّ حال كان يَكْتُمُإِيمانَهُ باللّهوبموسويستره من فرعون وقومه، لكونقولهمقبولاعندهم، فقال: يا قوم أَتَقْتُلُونَرَجُلًالأجل أَنْيَقُولَ أوكراهةقوله: رَبِّيَاللَّهُ الذيخلقنيوخلقالسماواتوالأرضومابينهما لا غيره، وَالحالأنّه قَدْجاءَكُمْ وأتاكم بِالْبَيِّناتِ والمعجزاتالظاهرات مِنْرَبِّكُمْ وخالقكماللطيفبكم. ثمّإنّه بعد القطعبكونموسنبيابالبيناتوالمعجزات، احتجّعلى قبح قتله باحتمالالضررفي قتله بقوله: وَإِنْيَكُ موسى كاذِباًفيدعواه فَعَلَيْهِكَذِبُهُ ووبالافترائهوضرره، لا يتعدّىإلىالغيرهتحتاجفي دفعه إلى قتله وَإِنْيَكُصادِقاًفيمايدّعيه من التوحيدوالوعدبالعذابعلىإنكارهومخالفةقوله، فكذّبتموهوقصدتموهبسوءيُصِبْكُمْبَعْضُالَّذِييَعِدُكُمْ به أن لم يصبكمكلّه، فانّفيإصابتكمالبعضكفايةفيهلاككم».[41]

هناكجملتانشرطيتانفيالآيةالكريمة، والأداةفيهماهي (إن) ولكندلالتهماتختلفان، فـ(إن) الأولىتدلعلى محال المقطوعبعدموقوعه، من حيثأنالرجل مؤمن بمعجزاتموسى – عليهالسلام- ووائقبانه صادق فيقوله، وجاءالفعلالمضارعللدلالةعلىقلةالاحتمالفيقولهلهذا، وأما (إن) الثانيةفهيتدلعلى عدم جزم المخاطببالشرط، معهأنالمتكلم جزم به، فالرجلواثقبصدقموسى – عليهالسلام- لكنهجاء بـ(إن) لأنالمخاطب لا يعتقد به وكذلك هو يقصدتوبيخالمخاطبوتنبيهه، وأماالفعلالمضارعههنافجاءللمقابلةأوالمشاكلةللفعلالمضارعفيالشرطالأولولكنهفيدلالةمختلفة، فهويدلعلىافتراضتكرارالحدثوتجدده، أيأنه صادق دائماً وفيكلأقوالهوأعماله.

24- وقوله تعالى: ﴿ياقَوْمِلَكُمُالْمُلْكُالْيَوْمَظاهِرِينَفِيالْأَرْضِفَمَنْيَنْصُرُنامِنْبَأْسِاللَّهِإِنْجاءَناقالَفِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْإِلاَّ ما أَرى وَماأَهْدِيكُمْإِلاَّسَبِيلَالرَّشادِ﴾ (غافر، 29)

«وجوابالشرطمحذوفلتقدممعناه، التقديروالمعنى: إنجاءنابأساللّهفمنينصرنا منه؟ فقالالرجلالمؤمن: يا قوم تأمّلوافيإرشاداتكملفرعونفي قتل موسلكمالملكاليومظاهرينعلىكلأحدفيالأرضفمنينصرنا من بأساللّهإنجاءناإذانحنأقدمناعلى قتل موسفقال فرعون ما أراكمإلّا ما أريبعني لا أظهرلكمشيئا هو خلاف عقيدتيوعمليفرأيالمنعقدفيضميري هو الذيأجسّمهلكموماأهديكمفيدعوتيإلّاالسبيلالرشاد».[42]

إنأداة (إن) فيالآيةالشريفةهذه، تدلعلىالتوبيخوالتنبيهوالتغليب، فجيءعلىصيغةالاستفهامالإنكاريليوبخالرجلالمؤمنالكفارعلىقصدهمفي قتل موسى – عليهالسلام– وينبههمعلى نزول العذاب، فيسألهم: من ينصرنا من هذاالعذابالإلهي؟ أي لا ينصرناأحدٌأبداً، وكذلكيقصدأنيبينلهمغلبةقدرةاللّهوقهرهعليهم، والفعلالماضيفيالشرطيدلعلى إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن، أيبأساللّهمتيقنةالحصول.

25- وقالاللّهتعالى: ﴿وَإِنْلَمْتُؤْمِنُوالِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ (الدخان،21)

«وقالموسى – عليهالسلام– إن لم تصدقونيفيأني رسول اللّهإليكموأن ما أدعوكماليه حق يجبعليكمالعمل به فلاأقل من أنتعتزلونبصرفأذاكمعني، لأنكمإن لم تجازواالإحسانبالإحسان، فلاإساءة. و إنمادعاهمإلىتركمالابستهبسوءإنأصرواعلىالكفر ولم يقبلواإلىالايمانلأنهذاأمريدعواليهالعقلبديهتهولايحتاجإلى برهان».[43]

إنأداة (إن) ههناتدلعلىالزمنالحال، للإلهابوالتهييج، فموسى – عليهالسلام– يريدأنيهيجقومهإلىالاعتزال منه، وعدمأذاه، وفعل الشرط على صيغة المضارع المنفي بلم، أي الماضي المنفي، يدل على انقضاء الحدث وتمامه، أي لم تؤمنوا أبداً.

3- النتائج

أهم النتائج التي توصلت الدراسة إليها وذلك فيما يلي:

- إن لدراسة علم النحو أهمية بالغة، فهو الموجه لبقية العلوم إلى مسارها الصحيح، وهو الذي يحافظ على اللغة، وبه يستقيم النطق.

- هناك ارتباط وثيق بين علم النحو والدلالة والتفسير، فالمفسر بحاجة للتفقه والتعقل في هذا العلم، إذ لا يتسنى فهم مراد الله – عز وجل- دون الإحاطة بأسرار هذا العلم.

- هناك في القرآن تنوع دلالة الزمن الشرطي، حيث خرجت إلى جميع أقسام الزمان، ولو أن أغلب النحاة يعتقدون بأن أداة الشرط تدل على المستقبل، فقد خرجت الأدوات الشرطية إلى الأزمنة الثلاثة، إضافة أن الصيغ الفعلية لم تعبّر عن دلالة زمنية مستقرة، فقد وردت الصيغة الماضية دالة على الماضي، والحاضر والمستقبل، ومجيء أداوت الشرط مع فعل الشرط بالصيغة الفعلية الماضية له دلالة عدة كما مجيئها مع الصيغ الأخرى من الفعل. وأما أكثر الصيغ الفعلية في الشرط استعمالاً في القصص المختارة هو الصيغة الماضية.

- فتكثر هذه الأداة في قصة النبي موسي عليه السلام، وغرض الله من استخدام هذه الأداة كان تبيين كيفية المجادلة بين موسى عليه السلام وقومه، وكيفية دعوته لهم، فلهذا كثرت استخدام أداة (إن) فيها لأن هذه الأداة تستعمل كثيراً ما في المجادلات، ومن دلالاتها فيها؛ علاوة على الدلالة على الاحتمال، هي التوبيخ، والتهديد، والتغليب، والتهييج، والإنكار.

- فإن لكلّ كلمة في هذا الكتاب السماوي مقام وغرض بلاغي خاص لا يدرك دون التحقيق والتفسير فيه، فالإنسان عن طريقة دراسة القرآن يدرك التناسب الفني بين التراكيب في كلام الله تعالى وقصده تعالى من الإتيان بهذه الآيات الشريفة، فبالنسبة إلى موضوع الدراسة هذه، استخدم الله تعالى هذه الأداة حسب الغرض الخاص الذى كان وراءها، وإضافة على هذا فهو استخدمها على أشكال مختلفة ومع الصيغ المتعددة، فعلى سبيل المثال: الله تعالى استخدم أداة (إن) كثيراً ما في موضع (إذا) وإحدى من دلالاتها هي التوبيخ، لكنه تعالى في استخدامه هذه الأداة يفرّق بين الأنبياء والكفار؛ فهو عندما يعبر عن التوبيخ من قبل الأنبياء يستخدم أداة (إن) وحدة، وأما في التعبير عن التوبيخ من قبل الكفار يستخدم أداة (إن) المسبوقة بلام القسم، ووراء هذا التفريق كان غرضاً.

فهو تعالى أراد أن يبين لنا أن غرض الأنبياء من التوبيخ كان تنبيه الكفار على كفرهم وإسترجاعهم إلى الله تعالى، لكنه في استخدامه أداة (إن) المسبوقه بلام القسم من قبل الكفار أراد أن يبين لنا الشدة في قول الكفار بالنسبة إلى الأنبياء، وكذلك يبين نهاية غرقهم في الكفر، من حيث أنهم لا يرجعون عن كفرهم ولإبراز هذه الحقيقة يقسمون ويشددون قولهم بهذا القسم.

- هناك ثبت إحصائي لنسبة شيوع أداة (إن) في القصة:

الرسمة 1- إنفيقصةموسعليهالسلام

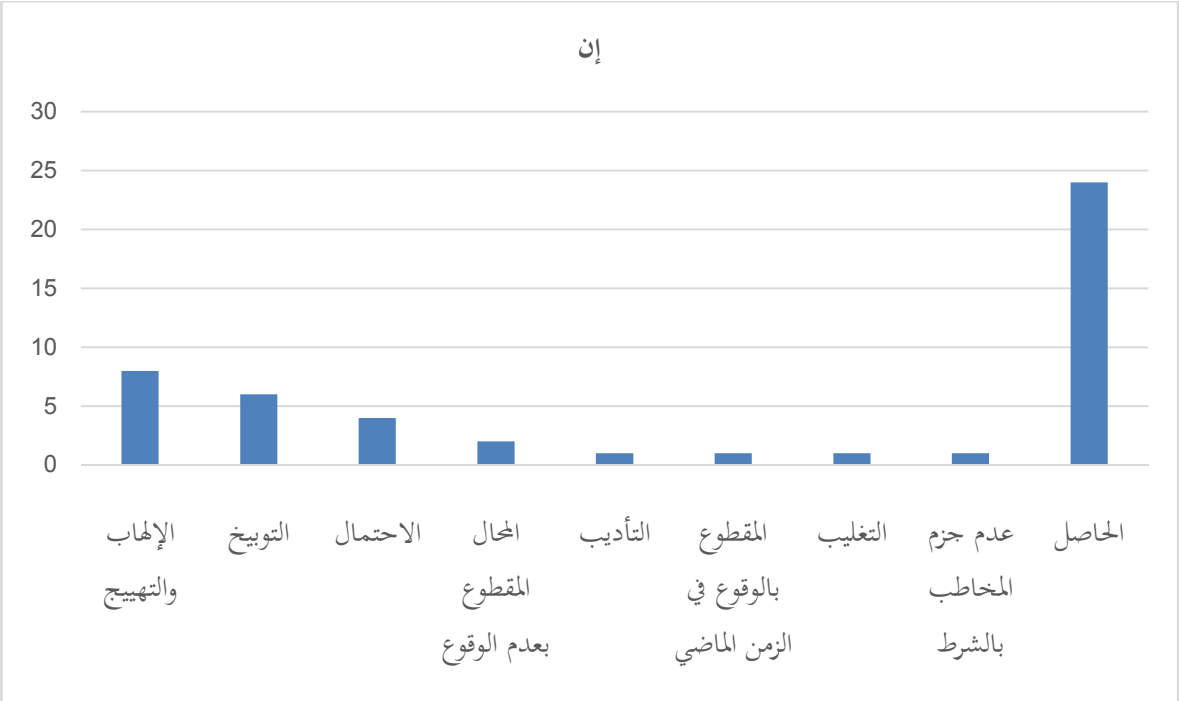
إن
30
25
20
15
10
5
0
الحاصل
عدم جزم المخاطب بالشرط
التغليب
المقطوع بالوقوع في الزمن الماضي
التأديب
المحال المقطوع بعدم الوقوع
الاحتمال
التوبيخ
الإلهاب والتهييج